خطبة الجمعة

ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠١٤/٠٨/٢٢

في مسجد بيت الفتوح بلندن

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضالِّينَ﴾، آمين.

ستبدأ الجلسة السنوية للجماعة الإسلامية الأحمدية في بريطانيا في يوم الجمعة القادم بإذن الله. لقد اكتملت معظم ترتيبات الجلسة والأمور في مكان الجلسة أي في "حديقة المهدي"، وبدأ الضيوف أيضا يتوافدون. ندعو الله تعالى أن يحمي جميع الضيوف الذين سافروا من بلاد بعيدة للحصول على بركات الجلسة، أو الذين ما زالوا في السفر أو سيسافرون قريبا، وأن يسهّل عليهم أسفارهم ويحفظهم ويرعاهم، ويكون سفرهم متّسما بالخير والعافية. إن الظروف العالمية تتدهور باستمرار مما يبعث على القلق من السفر وعلى المسافرين. على أية حال ندعو الله تعالى أن يحمي الجميع، ليس الأحمديين فقط بل جميع الناس في العالم، ليحظوا بالأمن الذي بعث الله تعالى المسيح الموعود عليه السلام لإرساء دعائمه في هذا العصر.

كما نعلم أن جميع ترتيبات جلساتنا تتم بعاطفة الخدمة التطوعية دائما. فمن هذا المنطلق أوجِّه عادة أنظار القائمين على هذه الترتيبات والعاملين إلى مسئولياتهم في خطبة الجمعة التي تسبق موعد الجلسة. وفي هذا السياق سأوجِّه اليوم بعض التعليمات إلى العاملين في ترتيبات الجلسة. بل الحق أن الأمور التي تتعلق بالضيافة لا تخص القائمين على ترتيبات الجلسة والعاملين المتطوعين فقط بل تتعلق بكل مَن ينـــزل عنده ضيوف الجلسة، بل يجب أن نقول على نطاق أوسع إن إكرام الضيف واجب على كل مؤمن في الحالات العادية أيضا.

على أية حال، ما دمتُ أريد الآن أن أوجِّه أنظار الإخوة إلى أمور تتعلق بإكرام ضيوف الجلسة لذا ستكون الجلسة هي محور الحديث بوجه عام.

كما قلتُ قبل قليل بأن الضيوف الذين يتوافدون إلى هنا لا يهدفون من مجيئهم إلا إلى الاشتراك في الجلسة فهم يأتون إلى هنا من أجل الدين فقط. وهذه يجب أن تكون نية جميع الضيوف القادمين. وإذا كان هذا هو الغرض من مجيء الضيف فإنّ أهميته تزداد كثيرا، وخاصة حين نرى أن المسيح الموعود عليه السلام وجّه الأنظار بوجه خاص إلى خدمة الضيوف القادمين للجلسة وعدّ الجلسة ذات طابع وأهداف دينية بحتة، وحاملةً أهدافا دينيةً بكل معنى الكلمة ومجلبة لرضا الله تعالى. فمن هذا المنطلق تزداد الجلسة أهميةً. القادمون إلى الجلسة لا يأتون لمنفعة شخصية ولا للتفرج على انبهار ورونق دنيوي. وإذا كان أحد يأتي واضعا هذه الفكرة في الحسبان فهو يضيع إيمانه. إذًا، هؤلاء الضيوف- الذين يخدمهم القائمون على ترتيبات الجلسة والمتطوعون – ليسوا ضيوفا عاديين بل يجتمعون هنا لوجه الله ملبّين دعوة النظام الذي أقامه إمام الزمان. ولا سيما الضيوف الذين يشتركون في جلسة بريطانيا يأتون إلى هنا باذلين جهودا كبيرة وأموالا طائلة تفوق قدرتهم المالية ويأتون من أماكن نائية ليكون سفرهم هذا مباركا. وإن حبهم للخلافة يُشعرهم أن سفرهم هذا سيكون سببا لزيارة الخليفة أيضا. فيأتي الناس بمن فيهم المبايعون الجدد والقدماء من بلاد مختلفة من العالم. عندما أرى حب الخليفة في عيون القادمين يزخر قلبي بعواطف شكر الله تعالى وأشعر كيف يخلق الله تعالى حب الخلافة في قلوب المؤمنين. هذا لا يمكن أن يحدث بسعي البشر. بل إن سببه عائد إلى أن الله تعالى أرسى دعائم هذا النظام بإرسال المسيح الموعود عليه السلام في هذا العصر ليُطلَع العالم على تعليم الإسلام الحقيقي والصحيح، ولكي يُطلَع الناس على رسالة الإسلام المحتوية على الحب والسلام، وليُنَبَّه الناس أن أمن العالم الآن منوط بالإسلام الحقيقي. فهذه هي الأمور التي يأتي الناس إلى هنا ليتعلموها. وهذا هو السبب وراء حبهم للخلافة.

يحضر المندوبون من بلاد كثيرة في جلسة الجماعة في ألمانيا أيضا في هذه الأيام بأعداد لا بأس بها واضعين في الحسبان أنهم سيحظون بمقابلة الخليفة. أما في جلسة الجماعة في بريطانيا فيكون العدد أكبر نسبيا ليستفيدوا من برامج تربوية وعلمية ودينية ويرثوا أدعية المسيح الموعود عليه السلام ويقابلوا الخليفة أيضا.

باختصار، العواطف التي يكنّها الوافدون إلى الجلسة لا نظير لها في العلاقات الدنيوية قط. وهذا ما وجّه إليه المسيح الموعود عليه السلام في شروط البيعة.

إذًا، الضيوف الذين يأتون إلى هنا يحتلون مكانة خاصة ولهم أهمية خاصة، وبناء على ذلك تزداد أهمية الذين يخدمونهم أيضا. ونظرا إلى هذه الأهمية يقدّم أفراد الجماعة أنفسهم لخدمة الضيوف تطوعا. يكون هناك موظفون يحتلون مناصب مرموقة من الناحية الدنيوية ويكلَّفون في ترتيبات الجلسة بطبخ الطعام في قدور كبيرة أو بخَبْز الخبز وغيرها من الأعمال البسيطة حتى يكلَّفون بتنظيف الحمامات أيضا، وكلٌّ منهم يؤدي عمله بكل نشاط وانبساط لِعلمه أنه يرث أدعية كثيرة نتيجة خدمته هؤلاء الضيوف. وإلى جانب الخدمة يكون هؤلاء المتطوعون سببا لتبشير غير الأحمديين أيضا بدعوة الجماعة. فالطفل الصغير الذي يسقي الناس ماء في خيمة الاجتماع يبلّغ الدعوة بصمت ويقول بلسان حاله بأننا لا نسبب الفساد في العالم بل نسقي الناس ماء روحانيا أيضا إلى جانب الماء المادي. خلاصة الكلام أن أهمية الضيف تزيد من أهمية المضيف أيضا، وهذا الأمر لا يلاحَظ في أي مكان في العالم.

فطوبى للعاملين والمتطوعين الذين يتطوعون لخدمة هؤلاء الضيوف وبالنتيجة ينالون رضا الله تعالى. لقد بيّن القرآن الكريم أهمية الضيوف وإكرامهم. فعندما ذكر القرآن الكريم مكانة إبراهيم عليه السلام ومزاياه تناول ذكر إكرامه الضيوف بوجه خاص. فالمضيفون الذين يخدمون الضيوف خدمات دون مقابل وينصرفون إلى خدمتهم فور وصولهم ويُعِدّون أنفسهم لهذا الغرض؛ لهم مكانة عند الله لأنهم يدركون أن الله تعالى سيرضى بهم نتيجة خدمة الضيوف فيكون رضا الله تعالى نصب أعينهم ولا يهدفون إلى إكمال رغبة أو غرض لهم أو إلى أن يشكرهم الناس.

فلا يوجد في الدنيا نظير مثل هؤلاء الضيوف الذين يسافرون لوجه الله دون أن يكون لهم هدف دنيوي، كذلك لا يوجد نظير لهؤلاء المضيفين الذين يخدمون الضيوف لوجه الله ولنيل رضاه. بل الحق أن هؤلاء المضيفين يعملون إلى عدة أيام عملا تطوعيا ويجعلون المكان صالحا للسكن ولأغراض أخرى.

هذه الظاهرة الجميلة تلاحَظ في الجماعة الإسلامية الأحمدية فقط لأننا آمنا بإمام الزمان بحسب أمر الله ورسوله ﷺ، ولأننا منخرطون في سلك الخلافة ونسعى جاهدين لإيفاء عهدنا بأننا سنؤثر الدين على الدنيا. لقد جرّبنا على مرّ السنين أن كل صغير وكبير ورجل وامرأة يعمل بعاطفة الخدمة. فلا شك أن الخدمات ستُقدّم هذا العام أيضا بالعاطفة نفسها بإذن الله. التقارير حول العمل التطوعي التي تصلني هذا العام توحي بأن هناك شبابا جددا ينضمون إلى العمل التطوعي بنذر أوقاتهم مؤقتا مع أنه لم تكن لديهم خبرة أو تجربة سابقة لهذا العمل، أو لم يوجَّهوا إلى هذا الأمر من قبل. فكل من يرتبط بالجماعة ويحسب نفسه أحمديا وكان مقصِّرا في أمر من أمور الجماعة يكون سبب التقصير عائدا إلى أن المكلّفين بتوجيههم

إلى ذلك لم يؤدوا واجبهم على ما يرام. أقول دائما في هذا المجال أنّ مَن كان يحسب نفسه أحمديا فلا يمكن أن يرفض إذا دُعي لأيّ عمل. لذا يجب علينا أن نوجّهه باستمرار، وقد أمر الله تعالى بالتذكير لأنه يكون سببا للتوجيه السليم. ومما لا شك فيه أن التوجيه السليم والنصيحة الصائبة تُحدث تغييرا في الطبائع. ثم لا يقتصر الأمر على ضرورة توجيه الضعفاء وإسداء النصيحة لهم بل هناك كثير من المنضمين الجدد إلى الجماعة الذين لا يعرفون النظام كما يجب، لذا من الضروري أن يُطلَع هؤلاء أيضا على عاطفة الخدمة وأساليبها. ومع أن الأغلبية من الجدد أيضا يقدمون أنفسهم للخدمة الطوعية إلا أن التذكير يظل ضروريا، لأن هناك أطفالا أيضا ينضمون إلى صف العاملين فيكونون بحاجة إلى التوجيه لأداء الواجبات والخدمات. وكما قلتُ من قبل أن شبابا آخرين تقدموا إلى مجال الخدمة نتيجة توجيههم إليها، يجب توجيههم وإرشادهم أيضا إلى أهمية الخدمة وإكرام الضيوف ليكونوا أكثر نشاطا وحيوية وخدمة، لذلك قال الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾. ومعلوم أنه لا يخلو فعل من أفعال الله من الحكمة.

إذًا، يجب ألا يُعَدّ التذكير المتكرر عديم الجدوى، فإن كثيرا من العاملين يكونون بحاجة إلى التذكير ويشعرون بأهميته إذ ينسى البعض نصيحة أو أمرا جديرا بالانتباه مع أنهم يكونون قد سمعوه من قبل أو لا ينتبهون جيدا، وإذا ذُكِّروا ويذكَّرون وينتبهون، ويذكرون. وهذا ما يذكره أيضا بعضهم ويقولون بأننا انتبهنا إلى ذلك بعد التذكير.

على أية حال، تذكروا، كما قلت من قبل بأن هناك كثيرا من القادمين إلى الجلسة الذين يأتون من أماكن بعيدة بعد قطع مسافات طويلة، وقد فرض الله تعالى خدمتهم على المؤمنين. سُدُس الضيوف تقريبا – من العدد الإجمالي من المشتركين في الجلسة من بريطانيا– يأتون من البلاد الأخرى والبعيدة لينالوا بركاتها. فمنهم من يأتي من الشرق الأقصى وباكستان والهند وإفريقيا وأميركا الجنوبية وأميركا الشمالية إضافة إلى البلاد الأوروبية، أي يأتون من بلاد بعيدة. نصف عدد المشتركين الإجمالي يأتون من مدن أخرى في بريطانيا. فكلهم ضيوف ومسافرون. بل هناك بعض العجائز والضعفاء والمرضى الذين يكون السفر من لندن إلى حديقة المهدي سفرا متعبا بالنسبة إليهم. فعلى كل عامل وعاملة على ترتيبات الجلسة أن يشعر بأنهم ضيوفنا وعلينا أن نخدم الضيوف في كل الأحوال ونعامل كل واحد بالخُلق الحسن. في بعض الأحيان يتصرف بعض الضيوف تصرفا غير مناسب ومع ذلك يجب على العاملات والعاملين جميعا أن يصبروا ويؤدوا واجبهم على أحسن ما يرام.

لقد ضرب الله لنا في القرآن الكريم مَثل نبي من أنبياء الله وبيّن كيف يجب علينا أن نخدم الضيوف ونعتني بهم. يجب أن نردّ على تحية الضيف بأحسن منها ونُبدي لهم عواطف أكثر إخلاصا وتهيئ لهم الأمن والأمان ونقابلهم بوجه بشوش. إذ لا يمكن أن ينعم الإنسان بالسلام الحقيقي إلا عندما يشعر بالفرحة والسرور.

لا يكون ضيوف الجلسة من الأحمديين فحسب بل هناك ضيوف من غير الأحمديين أيضا وهم يحتاجون إلى اهتمام أكبر. يراقب الضيوف غير الأحمديين أحيانا سلوك الإخوة بغض النظر عما يلقونه من تعامل حسن لأنهم يريدون أن يروا التعامل مع الآخرين. فعليكم أن تضعوا دائمًا نصب أعينكم هدفًا أنكم ستخدمون الضيوف خدمة تنالون بها السعادة الحقيقية. باختصار ينبغي أن نفرح بكل ضيف قادم فرحتَنا برؤية ضيف عزيز علينا أو قريب لنا. فإذا فرحنا بمثل هذه الفرحة فسنتمكن من أداء حق الخدمة. يخدم الجميع أقاربهم وضيوفهم المقربين ويضيّفونهم وإذا كانت القرابة قريبة جدًّا فيدلّلونهم أيضا، ولكن تُختَبر عاطفة الخدمة عند مجيء ضيوف ليست لهم علاقة قرابة بكم.

إنما يأتي ضيوف الجلسة للحصول على السلام والسكينة، ولا يأتي ضيوف الجلسة لهدف آخر كما أوضحت. فثمة حاجة ماسة لتوفير مناسبات لنيل السلام والتسهيل قدر المستطاع لمثل هؤلاء الضيوف، وواجبنا أن نقوم بها.

ثم يجب أن نقيم مستوى عاليًا للضيافة وهو أن نقدم للضيوف أفضل ضيافة نستطيع تقديمها بحسب ظروفنا والوسائل المتاحة لنا، وينبغي أن يظل المسئولون دائمي التفكير في هذا الأمر. فإن الله تعالى يريد منا أن نقوم بتلك الضيافة التي تُوفّر راحةً مُثلى.

كان النبي ﷺ أفهم الناس لأحكام الله تعالى وأفضلهم في العمل بها. كيف وجّهنا ﷺ في هذا المجال؟ لقد قال ﷺ بأن للضيف عليك حقًّا ويجب أن تؤديه. وهناك أمثلة في حياته ﷺ بحيث جاء ضيوف كُثر، فوزّعهم بين الصحابة وأخذ بعضهم إلى بيته أيضا. فلما وصل إلى بيته عرف أنه ليس في البيت إلا قليل من الطعام والشراب، فلما سأل عائشة قالت: هو ما وضعتُه لتُفطر به. ولم يكن في البيت إلا هذا الشيء القليل من الطعام. فتذوَّق النبي ﷺ منها شيئًا ثم قدَّمه للضيف وأمره بأكله.

لعل النبي ﷺ تذوّق منه لتكون فيه البركة ويصير الطعام مباركًا فيكون مشبعًا للضيوف.

ويتضح من الرواية أن الضيوف شبعوا بأكل هذا الطعام الذي كان قليلا كما وصفته عائشة رضي الله عنها، وكان قد وُضع لإفطار النبي ﷺ.

لقد ربّى النبي ﷺ صحابته أيضا على هذه الأخلاق فكانوا جميعًا مفعمين بعاطفة الخدمة العفيفة للضيوف.

يقوم الجميع بخدمة الضيوف عند الرخاء وعندما يكونون بعيدين عن المشاكل وعند وجود المساعدين لهم، ولكن الضيافة الحقيقية هي التي يقدمها صاحبها بتحمّل المشقة. وهذا هو حق الضيف الذي أقامه النبي ﷺ ونبّه المؤمنين إلى أدائه. ومن تأثير تربيته ﷺ كان الصحابة يتوقون للتأسي بأسوته ﷺ، ولأجل ذلك نرى في الصحابة أيضا أمثلة عظيمة لخدمة الضيوف، ومنها أمثلة سُرّ الله بها، ولقد أخبر الله تعالى نبيّه ﷺ بسروره هذا عندما كانت الضيافة تقدَّم للضيف. ما أعظم مكانة هؤلاء الزوجين وأولادهما الذين سُرّ الله تعالى بتصرفهم وتلقّوا من الله تعالى ثناءً عليه! لقد ورد تفصيل ذلك في رواية عن أبي هريرة أن مسافرًا جاء النبي صلى الله عليه وسلم، فبعث إلى أهله أن يرسلوا له طعاما، فقيل له: ليس في البيت اليوم إلا الماء. فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه مَن منكم يستضيف هذا؟ فقال أنصاري: أنا يا رسول الله. فذهب بالضيف إلى بيته وقال لزوجته أكرمي ضيف رسول الله ﷺ. فقالت: مَا عِنْدَنَا إلا قُوتُ صِبْيَانِي. قال: فَقَالَ :هَيِّئِي طَعَامَكِ، وَأَصْبِحِي سِرَاجَكِ، وَنَوِّمِي صِبْيَانَكِ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً. فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا، وَنَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ، فَجَعَلا يُرِيَانه أَنَّهُمَا يَأْكُلانِ، فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ. فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: ضَحِكَ اللهُ اللَّيْلَةَ، أَوْ عَجِبَ، مِنْ فَعَالِكُمَا. لقد ورد في بعض الروايات أنه نــزل في هذه المناسبة قول الله تعالى ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: ١٠)، أي أن هؤلاء المؤمنين الأطهار المخلصين يؤثرون غيرهم على أنفسهم مع حاجتهم وفاقتهم، ومَن حُفظ مِن بخل نفسه فأولئك هم الفائزون.

هذا ما تصرفوا به فضحك الله تعالى، حيث خطر ببالهم ألا يشعر الضيف بأي إحراج نظرًا إلى قلة الطعام ولا يكفّ يده عن الأكل، فأطفآ السراج حتى لا يشعر الضيف -الذي أمر النبي ﷺ بإكرامه – أن أهل البيت يضحّون من أجله، ثم كان هو ضيف النبي ﷺ فلا بد أن يقدّموا له ضيافة خاصة.

ينبغي أن نضع هذا الأمر نصب أعيننا اليوم ونتذكر أن الضيوف القادمين في هذه الأيام إنما هم ضيوف الخادم الصادق للنبي ﷺ، وإنهم يقومون بهذا السفر لغرض ديني فحسب؛ فهدفهم واحد ولكن الظروف مختلفة؛ فعندما يُدعى المتطوعون والعاملون الآن من أجل تقديم الخدمات فلا يقال لهم أن يأتوا بالضيافة من بيوتهم. وظروفُ الناس أيضا ليست مشابهة لظروف عصر النبي ﷺ. كان وضع الصحابة أنه إما لا

يوجد في بيتهم شيء أو كان شيئا قليلا جدًّا، ومع كل ذلك كانوا يعرّضون أنفسهم للمشقة ويضحّون بطعام أولادهم ويخدمون الضيوف. أما هنا فيقال للمتطوعين أن يقدّموا أنفسهم لمجرد الخدمة في مختلف الشُعب، أما بقية الأمور فيوفرها نظام الجماعة. فلقد قلت لكم إن جميع المتطوعين رجالا ونساء وأولادًا سُعداء حيث عُيِّنوا على خدمة ضيوف المسيح الموعود عليه السلام، ولا يتعرضون لأية مشقة أخرى غير تقديم واجب الخدمة والضيافة، أي لا يتكلفون أيّ عِبء مادي آخر ولا يضطرون لتقديم تضحية أخرى.

عندما كانت الجلسة تُعقد في ربوة كان سكانها يضحون براحتهم في بيوتهم من أجل راحة الضيوف إذ كانوا يقدمون بيوتهم للجماعة حتى تقيم الضيوفَ فيها. ومع أن الضيافة كانت تقدم في فترة الجلسة لأسبوع أو عشرة أيام إلا أن بعض الإخوة كانوا يتحملون عبء تقديم الطعام والشراب للضيوف. مع كل ذلك لم تكن هذه الظروف مشابهة للتي أرى الصحابةُ نماذجهم الحسنة فيها.

تتراءى لنا تلك النماذج في هذا العصر في أسوة المسيح الموعود عليه السلام التي قدّمها في اتباعه لسيده ﷺ، حيث ضحّى براحته أيضا من أجل ضيافة الضيوف وقضى الليل البارد كله دون أي لحاف أو فراش، كما استعمل حليّ زوجه أمان جان رضي الله عنها من أجل تأمين الطعام للضيوف. لقد أرانا صحابته عليهم السلام أيضا نموذج التضحية نفسه بحيث كانوا يؤثرون راحة الآخرين على راحتهم.

لقد نبّهنا المسيح الموعود عليه السلام إلى هذا الأمر بخصوص الجلسة أيضا فقال ينبغي ألا يكون أحباؤنا كالذين يؤثرون أنفسهم على الآخرين، بل ينبغي أن يكونوا مضحّين. وهناك حادثة تتعلق بهذا الأمر وقد وردت في سيرة المسيح الموعود عليه السلام وهي مروية عن صاحبزاده بير سراج الحق رضي الله عنه: كان حضرته عليه السلام قد أعطاني سريرًا، ولكن كلما أتى ضيوف نام بعضهم على سريري، أما أنا فكنت دائمًا أفترش السجاد وأنام على الأرض. وإذا فرشت فراشي على السرير فكان يأتي بعض الضيوف وينامون عليه. لم يكن يسبب لي هذا الوضع أي حزن أو ألم لأنني كنت أعدُّ نفسي من المضيفين أما هؤلاء فحلّوا ضيوفًا علينا، وأحيانًا يأتي بعض الضيوف ويرمي فراشي جانبًا ويأخذ السرير ويفرش عليه فرشه وينام.

وفي إحدى المرات لما حصل هكذا أخبرتْ إحدى الخادمات حضرتَه أن "بير صاحب" نائم على الأرض. فسألها حضرته: أين السرير؟ قالت: لا أعرف. فخرج حضرته فورًا واستدعاني أمام الغرفة المستديرة وسألني: لماذا تنام على الأرض؟ إنه موسم الأمطار وهناك خطر أن يكون على الأرض بعض العقارب أو الحيات. فذكرت لحضرته الوضع كله وماذا يحدث عمومًا، ولا أتحرّج بذلك لأنني أرى من مسئولياتنا خدمة هؤلاء الضيوف وضيافتهم. فدخل حضرته البيتَ وأرسل لي سريرًا آخر. ظل هذا

السرير معي ليومين أو ثلاثة ثم بدأت القصة نفسها التي ذكرتها آنفًا، وفي هذه المرة أيضا رفع أحد هذا الأمر إلى حضرته فأرسل لي سريرًا آخر بقي معي يومًا فقط وتعرضتُ لنفس المشكلة، وهذه المرة أيضا نقل أحد هذا الخبر إلى حضرته فقال لي حضرته بعد صلاة الفجر: أيها الصاحبزاده صاحب! ينبغي على أصحابنا أن يتصرفوا في هذا الوضع مثلما تتصرف أنت. (أي هذا هو حق الضيافة) ولكن يمكنك أن تقوم بعمل وهو أننا سنجعل للسرير سلسلة فاربطه بهذه السلسلة وعلقه بالسقف، فلما سمع المولوي عبد الكريم هذا الكلام ضحك وقال: هناك بعض "الأساتذة" يتمكّنون من إنزاله من السقف أيضا، فأخذ حضرته أيضا يضحك.

قد تحدث مثل هذه الطرائف المضحكة المتعلقة بالضيافة. وتذكّرتُ من كلمة الطريفة أنني أحيانًا أذكر بعض الأمور الطريفة المتعلقة بالمزاح بذكر كلمة "لطيفة" وهي تعني في الأردية النقطة الدقيقة والطريفة أيضا، ولكن بعض المترجمين بدلا من أن يترجموا أنها طريفة تتعلق بمزاح ترجموا مرة –لما كنت أستمع إلى الترجمة – وكأنها نكتة عظيمة وعميقة. فمثل هذه الأخطاء أيضا تحصل في الترجمة أحيانا. ولكن نتعلم من هذه الحادثة المذكورة نقطةً وهي أنه ينبغي على المرء المحافظة على ممتلكاته.

ثم أريد أن أذكر نموذجًا آخر لحضرته عليه السلام وهو نموذج لنا ولجميع المسئولين وفيه درس للمتطوعين أيضا.

يكتب الشيخ يعقوب علي عرفاني – رضي الله عنه – أنه في أيام الحرب المقدسة[1] اجتمع كثير من الضيوف فنسيَ العاملون ذات مساء أن يُبقوا الطعام لحضرته. وكنت قد أوصيت زوجتي بذلك ولكنها نسيتْ من كثرة أشغالها، وانقضى هزيع من الليل، وحين سأل حضرته بعد انتظار طويل عن الطعام، قلق الجميع. كان السوق قد أغلق في ذلك الوقت فلم يكونوا يستطيعون شراء الطعام منه.

باختصار، لما أُطلع حضرته عن الوضع قال: لا داعي للقلق والتكلف لهذا الحد، انظروا المائدة إذا كان شيء من الطعام المتبقي فسيكفيني وحين فُحصت المائدة وُجدت عليها بعضُ كسرات الخبز فقال حضرته: حسبي هذه الكسرات، ثم تناول منها كسرة أو كسرتين وأكلها واكتفى بهذ القدر.

فهذا درس لجميع العاملين أنه إذا حصل أي نقص في الطعام لبعض الظروف أحيانًا فلا داعي للقلق بل ينبغي تقديم التضحية من أجل الضيوف.

---

[1] – الحرب المقدسة هذه مناظرة عظيمة بين المسلمين والمسيحيين في أمرتسر في ١٨٩٣ استمرت لخمسة عشر يوما تقريبا، مثّل فيها الإسلامَ سيدُنا المسيح الموعود عليه السلام وأثبت بآيات باهرة وبراهين ساطعة أفضلية الإسلام، وقد جُمعت في كتاب مطبوع ضمن مجموعة الخزائن الروحانية. (المترجم)

لقد كتب شيخ يعقوب علي رضي الله عنه: هذا الحادث يبدو عاديا، ولكنه يدل على معجزة أخلاقية مدهشة لبساطة المسيح الموعود وتواضعه عليه السلام. إذ كان هناك كل الإمكانيات لإعداد الطعام له، والجميع كانوا سيُسَرّون بذلك، ولكنه عليه السلام لم يرد إزعاج أحد في ذلك الوقت المتأخر، ولم يفكر أنهم لم يقدموا له طعاما مناسبا، كما لم يؤاخذ أحدًا ولم يغضب على أحد بسبب غفلته وتقصيره، بل أزال قلق الآخرين ببشاشته وانشراحه.

فلو واجهنا موقفًا مماثلا فيجب أن نتأسى بأسوته عليه السلام. إن الأكثرية من المتطوعين يتحلون بأخلاق عالية بفضل الله تعالى، ولكن بعض الناس يشتكون، فعلى المتطوعين أن يضعوا أسوة المسيح الموعود عليه السلام نصب أعينهم. هذا ومن واجب المسئول عن كل قسم وشعبة من الخدمات، أو مِن واجب شعبة الضيافة، أن يحتفظوا بالطعام من أجل المتطوعين المساعدين، حتى إذا رجعوا من الخدمة وجدوا الطعام.

هناك تعليم أساسي آتاناه المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام، وعلى المتطوعين جميعا أن يتذكروه. ذات مرة جرى الحديث عن ترتيبات تقديم الضيافة للضيوف، فقال عليه السلام: إني دائم الحرص على ألا يعاني أي من الضيوف، بل أنصح دوما بهذا الشأن وأقول: علينا السهر على راحة الضيف قدر الإمكان، لأن قلب الضيف هش مثل الزجاج، وينكسر بأدنى صدمة. كنت من قبل أتناول الطعام مع الضيوف، ولكن لم أستطع ذلك منذ أن ازداد مرضي واضطررت لأكل طعام معين، كما قد ازداد عدد الضيوف بحيث أصبح المكان ضيقا فلم أقدر على الأكل معهم مضطرا. إني أسمح للجميع أن يخبرنا بمعاناته، إذ قد يكون البعض مريضا فيمكن إعداد طعام معين له.

فعلينا أن نتذكر دومًا ألا تُجرَح مشاعر أي ضيف بتصرفنا، بل على كل متطوع أن يتحلى بأسمى الأخلاق دائما في كل مكان وفي كل حين، وإذ ذكر لكم أي من الضيوف معاناته فيجب إزالة معاناته بدلاً من تقديم الأعذار بجفاء.

وفي الأخير أود أن أقول: إن المتطوعين في مختلف أقسام الجلسة قد تدربوا بفضل الله تعالى تدريبا كافيا، ويعرفون جيدا ما هي أعمالهم وكيف يقومون بها، ولكن الثقة الزائدة تؤدي أحيانا إلى عدم الإتقان. لا بأس من الثقة، ولكن لا تتهاونوا بسبب ذلك في التركيز في كل جزئية من أعمالكم لإتقانها بدقة.

والأمر الآخر ذو صلة بالحراسة، فهذه الشعبة بحاجة ماسة إلى إتقان واجباتها. في هذه الأيام يتعرف الناس على جماعتنا بكثرة وهي مزدهرة ازدهارًا سريعا، وهي تُدين كلَّ ما هو خطأ بشجاعة، فإن كثيرا من المتشددين يتكلمون كثيرا لتشويه سمعة الإسلام، وجماعتنا تردّ على مطاعنهم دائما، وفي مثل هذا الجو يزداد عدد الحاسدين والمعارضين وتشتدّ مكايدهم أيضا، لذا فإن شعبة الحراسة بحاجة لأن تنشط من الآن، وليس أن يذهب العاملون فيها لفحص مكان الجلسة في أيامها، كلا بل عليهم القيام بأعمال الحراسة من الآن. ولكن عليهم ألا يقصّروا في التحلي بالأخلاق الفاضلة إلى جانب القيام بواجب الحراسة بتقيّظ وتعمّق. ينبغي أن يعيَّن في جميع أماكن الحراسة متطوعون يتحلون بأخلاق سامية. ويجب ألا يكون هناك أطفال صغار، بل يجب أن يكون معهم كبار وفي كل مكان.

وفوق كل شيء، عليكم أن تدْعوا الله كثيرا لإنجاز أعمالكم على أحسن وجه. إن أعمالنا لا تتم بكفاءاتنا وجهودنا وإنما بعون الله تعالى، والدعاء هام جدا للفوز بفضل الله وعونه، فلا تغفلوا عن الدعاء أبدا.

يجب علينا جميعا، إضافة إلى المتطوعين، أن ندعو الله تعالى أن يعيننا بفضله على تكميل تجهيزات الجلسة قبل الموعد، وتقديم المرافق والتسهيلات كلها للضيوف. آمين.